خطاب صاحب الجلالة بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

في مثل هذا اليوم من السنة الماضية توجهت إليك ناصحاً ومبشراً، وها أنا اليوم أخاطبك متفائلا مستبشرا.

توجهت إليك بالنصح، حتى تتحد صفوفك وحتى تهتدي إلى الخير خطاك، وحتى نسكت ما بيننا من مشاكل داخلية لنتصدى بالكلية إلى ما هو أكبر وما هو أقدس، وهناك بشرتك بأن وقت الكفاح ووقت الجهاد ووقت الملحمة قد أتى.

فعلا شعبي العزيز خضنا هذه المعركة منذ سنة، سياسياً وعسكرياً بحكمة جماعية وطنية ألهمنا الله سبحانه أياها، فما خطونا خطوة ولا رسمنا خطة إلا وكان التوفيق حليفنا، وكان النجاح مواكباً لخطوتنا.

وهكذا شعبي العزيز، بعد أن ظن الظانون أن جميع خطواتنا سوف تفشل، الأولى تلو الأخرى، رأينا أن النجاح كما قلت لكم كان مواكبا لتلك الخطوات.

فحينما نادينا بالذهاب أمام محكمة لاهاي كان المتشككون كثيرين، والمترددون كثيرين، ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى وتضامن الأخوة العرب والافارقة والمسلمين تمكنا أن نرجح وجهة نظرنا، وهكذا قررت هيأة الأمم المتحدة أن نذهب أمام محكمة لاهاي للتحاكم.

وحتى عندما خطونا هذه الخطوة تربص بنا المتربصون وحاولوا أن يقنعوا المحكمة أن ليس هناك مشكل قانوني قائم بين المغرب وبين إسبانيا، ولكن مرة أخرى واكبهم الفشل وأصبحت المحكمة بتعيينها قاضيا خاصاً بالمغرب تعترف قانونياً بأن هناك مشكلا قانونياً قائماً بين إسبانيا والمغرب، وأحسن من هذا وذاك والشيء الذي أريد أن أقوله، هو أن خصومنا كانوا دائماً يعتقدون أنه لايمكن للمغرب أن يتفق مع شقيقته موريطانيا.

فعلا كان لحسابهم هذا حظ من الوجاهة، لأنه فعلا لعدة سنوات والمغرب متغيب عن موريطانيا، عدة سنوات ونحن نعيش بدون تمثيل ديبلوماسي متبادل، عدة سنوات والناس يتحدثون ويقولون : المغرب يطمع في موريطانيا بأن يردها إقليماً من أقاليمه وتحت سيطرته، وفعلا كان من الصعب على الانسان تغيير مجرى التاريخ القديم لكي نخطو خطوة تؤدي بنا إلى التاريخ الحديث تاريخ الغد.

وهكذا اتحدت الصفوف بيننا وبين موريطانيا وهكذا سوف تصبح بيننا وبينها حدود، وهكذا فان القفل الذي كانوا سيضعونه في جنوب المغرب لكي يبقى معزولا عن افريقيا سيزول معه ذلك السد ويرجع إلى حقيقته الطبيعية التاريخية، وهو مطل ومشرف ومتطلع لافريقيا واخوانه الأفارقة، وحاول الخصوم أن يعملوا أكثر ما يمكن من الضباب لهذا المشكل فكانوا في كل وقت وحين يقولون الأطراف المعنية وحينما يذكرون الأطراف المعنية يعنون بالخصوص أن يكفهر الجو ويتعكر الماء، ولكن هيهات هيهات، الأطراف المعنية كانوا يقصدون

بها المغرب وموريطانيا والجزائر، لكن هذه الأطراف المعنية مر عليها الاستعمار وتعرف ما هي شباكه وما هو الفخ الذي يريد، وعرفت أن الاستعمار أينا كان وحل وارتحل يطبق سياسات فرق تسد، وهذا رزقنا الله جميعاً الفطنة بالشيء الذي كانوا يكيدون، وان كل واحد منا لم ينس مشاركة الآخر في التحرير معه في المنطقة، وكنا راعين أيضاً نحن الأقطار الثلاثة، على أنه وراءنا تاريخ مجيد وأمامنا مستقبل زاهر. وهذا بددنا جميع الشكوك وجميع السحب وأصبح المغرب وموريطانيا يقولان لاسبانيا نحن متقابلان معك أمام محكمة لاهاي، وكذلك الجزائر كانت تنتظر منها اسبانيا أن تقف بجانبها أو معها، فلقد أصبحت الجزائر تكرر ما قالته دائماً : لا مطمع لها في الأرض، بل من باب التضامن مع المغرب ونظراً لفحوى اتفاقياتنا جميعاً وبالأخص اتفاقية يفرن فهي ملزمة بالتضامن وبالأخوة وبالوقوف جنباً لجنب مع المغرب.

وهكذا شعبي العزيز، ترى أننا تمكنا ولله الحمد بضبط الأعصاب وبالسكينة والطمأنينة وإيماننا بقضيتنا أن نربح لك كل يوم صديقا، وما من يوم يمر إلا والذي كان خصماً يرجع صديقاً، وما من يوم يمر إلا وأصدقاؤنا يزدادون يقينا بحقنا ومطالبنا المشروعة.

فهنيئا لنا جميعا شعبي العزيز، وهنيئا لك بالخصوص، لأننا لو لم نخض هذه المعركة بهذا الحماس ولو لم نصل إلى النتائج والأهداف التي وصلنا إليها في ظرف سنة فانه لم يكن يشعر القريب ولا البعيد، والداني ولا القاصي أن المغرب في هذه المسألة له كلمة واحدة، له نقطة واحدة، له نظرة واحدة وهي التحرير، له طريقة واحدة ألا وهي الاتحاد وتوحيد الصف، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل دلالة كبيرة وعميقة على الأصالة وعلى المجد الأثيل لك، وهذه الخصال وهذه الأخلاق لا يمكن لأي دولة أن تتحلى بها، بل لا تتحلى بها إلا الدول الضاربة في أعماق التاريخ ورؤوسها في سماء الآمال والأماني.

شعبي العزيز

في الخطاب الذي ألقيته أمام لجنة التخطيط والانعاش الوطني، وكنت إذ ذاك قلت لك إنني سأفسر لك فلسفتي بمناسبة خطاب آت.

ولعلك شعبي العزيز بما أوتيت من فطانة من جهة، وبما يوجد بيننا أنت وأنا من وشائج ومن إحساسات خاصة وإرهاصات، قلت في الغالب أنها ستكون بمناسبة تاسع يوليوز.

وفعلا، فعلا شعبي العزيز، نظمنا أكثر ما يمكن حياتنا في الخارج، ونظمنا أكثر ما يمكن علاقاتنا سواء على صعيد القارة أو على صعيد الأسرة الدولية، ونريد أن نفند قول أولئك الذين يقولون اننا اتخذنا قضية الصحراء لنخفي مشاكلنا الداخلية، نريد أن نفند هذا القول.

نعم ككل دولة لنا مشاكلنا الداخلية، فما هي هذه الدولة التي ليست لها مشاكل داخلية ؟ ولكن نريد أن نظهر كذلك أننا إذا تحدثنا على الصعيد الخارجي فكذلك نريد أن نبني قواعد على الصعيد الداخلي.

شعبي العزيز

ليس هناك أخطر على أي دولة كيفما كانت من الفراغ السياسي، ذلك عملا بالمثل العربي الذي يقول : ويل للشجي من الخلي، وحينما يوجد الفراغ السياسي، أولا : لايجد الناس ما يعملون.

ثانيا : جميع العبقريات ترى نفسها مكبوتة.

ثالثاً : لم تبق هناك نظم لتعامل السلطات بعضها مع بعض، ولاقامة مقياس يمكن بموجبه لمن ولاه الله أمر الأمة أن يسير هنا أو يتجه هناك، ولاسيما أن المغرب والشعب المغربي برهن — ولله الحمد — على نضج وعلى تقدم فكري وله أصالة وله تاريخ، فلماذا سنبقى نحرمه من التعاطي بالكلية للحياة العامة ؟

الحياة العامة — كما تعلم شعبي العزيز — تنقسم إلى قسمين :
— الحياة المحلية.
— والحياة الوطنية.

وحينما نقول المحلية نعني من المراكز القروية حتى الجهات الاقتصادية.

وحينما نقول الناحية العامة، المستوى العام، نعني بذلك البلاد في مجموعها.

نعتقد شخصياً أن المغرب لابد له أن يرجع إلى حياة نيابية عامة.

ولكن نظراً للظروف الاستثنائية التي نعيشها الآن والتي سنعيشها في المستقبل. نظراً لكون هذا جهاداً أصغر ولا يزال أمامنا جهاد أكبر سأتطرق له فيما بعد — فان ما لا يدرك كله لا يترك بعضه، وأعتقد أن البعض يمكن أن يوجد الآن ريثما يوجد البعض الآخر.

ويمكننا دون أن نحدد موعداً للانتخابات العامة، دون أن نحدد موعداً مدققاً، يمكن لنا القول بأنه في ظرف سنة أو سنة ونصف على أكثر تقدير يمكن إذ ذاك للمغرب أن يخوض الانتخابات العامة ويستأنف تجربته الدستورية الكاملة.

ولكن ريثما تقع تلك الانتخابات لابد أن نجري انتخابات على الصعيد المحلي : الجماعات القروية، والبلدية، العمالة أو الاقليم والجهة، وزيادة على هذه الانتخابات المهنية.

نعم سنخوض معركة الانتخابات المحلية، ولكن نعتقد شخصياً أن الوقت حان لكي نوسع أكثر ما يمكن من اختصاصات المنتخبين ولكي نوسع أكثر ما يمكن من حرياتهم، أحسن من هذا لكي نعطيهم أكثر ما يمكن من وسائل المراقبة على المنجزات المحلية أو الاقليمية أو الجهوية، علماً أن مؤسسات كهذه هي التي تكون المجموع وهو الأمة المغربية.

ثانياً — لا يريد شبابنا ولا المثقفون ولا الناس الذين لهم طموح خوض هذه المعارك الانتخابية الأولى والأولية إلا إذا عرفوا أن هناك صلاحيات لهم يستطيعون بها أن يخدموا ويعملوا ويظهروا — كما يقول العامة (حنة أيديهم).

فالمغرب كدولة وكنظام وكادارة وككيان لن يكون إلا رابحاً من انتخابات مثل هذه، لأنه إذا كان الناخب في مستوى منتخبيه، إذ ذاك سيرجع عمله بالخير عليهم وعلى مجموع الأمة، بل على الأقل ستعرف السلطة العامة المركزية في الرباط أن فلانا وفلانا هناك وفلانا هناك أطر صالحة سيروا الأمور على المستوى المعين، وستعرف أن مدخراتها البشرية يمكن لها أن تعول على جيش سياسي مسير عاقل حقيقي وواقعي لكي تجدد أطرها وتجدد شبابها ودمها.



شعبي العزيز

ان الحكم والمسؤولية والسلطة شيء مهلك وشيء متعب جداً، وإذا قلتها لك أنا فإنني أعرف لماذا قلتها، ونقول إننا كنا بمثابة جيش يخوض المعركة وكل يوم يقع من ذلك الجيش معطوب ومجروح وقتيل وضحية للارهاق وضحية السهر وضحية التفكير، بحيث أن المغرب والبلاد بمثابة طاحونة، فالحكم والمسؤولية طاحونة يطحن فيها الرجال، فإذا لم يرب منذ الآن أناس يخلفون أولائك الذين سقطوا في الطريق أو الذين انهكوا في الطريق أو الذين انهارت قواهم، سنكون خنا مسؤولياتنا وأمتنا، لأننا قبل كل شيء كما قيل : غرسوا فأكلنا، ونغرس فيأكلون، بحيث لابد من توسيع النطاق، نطاق المسؤولية وصلاحيات المنتخبين، حتى يمكن لهم إذ ذاك حقيقة ان يقدموا لبلادهم الشيء الذي يجب أن يقدموه، فإذا نجحوا كما قلت لكم فحبذا، بل إن البلاد ستكون فخورة أمام العالم والمغرب دولة في طريق النمو ــ بأن تصدر العشرات أو المآت من الرجال الأكفاء القادرين الذين يشرفون، وإذا شاركوا في المؤتمر يسأل عنهم : من هو هذا السيد الذي يتحدث ؟ مغربي، ومن هو هذا الذي يتحدث في التخطيط ؟ مغربي، ومن هو هذا الشخص الذي يتحدث عن الاشتراكية ؟ مغربي، ومن هو هذا الشاب الذي يتحدث عن التقنية ؟ مغربي، ومن هو هذا الشاب الذي يتحدث عن التصنيع ؟ مغربي، ان ذلك سيشرف المغرب، وأعتقد أن الأجيال الصاعدة ــ نظراً لتكاثر الطلبة وتكاثر التكوين ــ ستكون أجيالا لها حقيقة قيمة من ناحية المفعول ومن ناحية مضمونها، وإذا لم ينجحوا فسيعرف المنتخبون أن انتخابهم كان في غير محله، وإذ ذاك سيكون المنتخب هو المسؤول مسؤولية كاملة بما وقع له في محله، وإن صلح منتخبه صلحت القرية، وإذا لم يصلح المنتخب إذ ذاك سيعرف المنتخبون انه ليست دائماً السلطة هي المسؤولة، وليس دائماً القائد هو المسؤول وليس دائماً العامل هو المسؤول، وليس دائماً القائد الممتاز أو الباشا هم المسؤولين، بل سيعرفون أن هناك أناساً آخرين مسؤولين لديهم الصلاحية ولديهم السلطة لكي يعملوا ولديهم القدرة لكي يمكنهم أن يراقبوا.

بل بالنسبة لي أنا شخصياً أريد أن يكون أولئك المنتخبون والمجالس المنتخبة سواء كانت على الصعيد المحلي أم على الصعيد الجهوي أن تكون بمثابة سلطة تشريعية بالنسبة للعامل أو القائد أو القائد الممتاز الذين يوجدون أمامها وهم السلطة التنفيذية.

وهكذا سيمكن لي شخصياً أن أعرف هل هؤلاء هم الذين على حق أم أولئك هم الذين على حق، وسيمكن لي اذ ذاك بما سأتوصل به من هنا وهناك أن أقترح عليك شعبي العزيز أحسن ما يمكن أن يقترح، من جهة رغباتك ومن جهة إمكانياتنا جميعا حتى يمكن أن نوفق بين الرغبات والمطامح والامكانات التي لدينا جهد المستطاع.

وأنا شعبي العزيز أقول لك إنني أريدك أن تتجه إلى هذه الانتخابات بجد، بجد وجدية، لأنه كما تعلم فان مجموعها يكون ثلث البرلمان العام، هذا سيهيء وسيخلق وسينتخب وسيشارك هو بالثلث في البرلمان المقبل.

فعليك إذن ــ حينما نقوم بالانطلاقة في العملية الانتخابية ــ عليك شعبي العزيز أن تسير إلى الانتخابات وتذهب إليها بشيء من الهيبة، لأنك ستقرر لقريتك أو لمدينتك أو لجهتك أو لاقليمك مصيره، يجب عليك أن تذهب بهيبة لأن اختيارك سيكون مقياساً للمغرب، لأن الله لا يعطي للشعوب من قادة ومفكرين إلا أولئك الذين تستحقهم، ويجب عليك أن تعرف كذلك من هو كفيل وأهل لأن يمثلك ويمثل مطامحك ويمثل أخلاقك ويمثل سيرتك ويمثل تاريخك ويمثل حضارتك وتفكيرك.

ونحن إن شاء الله خلال هذا الصيف سنكون لجنة وطنية من أكثر ما يمكن من النزعات ومن الجهات، وأكثر ما يمكن من المستويات، وسنقترح عليهم النص الجديد لقانون صلاحيات هذه المجالس، وبعد أن نكون فكرة من الآراء التي سيكونون قد اعطوها لنا، سيصدر إذ ذاك الظهير الجديد الذي بمقتضاه تقوم البلديات والجماعات القروية والعمالات والأقاليم والجهات.

قلت لك شعبي العزيز ان هذا جهاد أصغر وينتظرنا جهاد أكبر معلوم.

واسمح لي شعبي العزيز أن أقول لك مثلا عامياً يميل بعض الشيء إلى الدارجة ولكن يمثل بالضبط الواقع، تقول العامة : «اللي بغا سيدي علي بوغالب يبغيه بقلالشو» نحن نريد الصحراء، فيجب علينا أن نعرف متاعبها ومشاكلها : 300.000 كيلومتر مربع جديدة، آلاف الكيلومترات من الصحراء، تخطيطات وتخطيطات لكي يكون من الممكن أن يشعر السكان هناك بالفرق بين سكان تحت سيطرة الاستعمار وسكان أحرار، معظم السكان هناك رحل، سيكون من الواجب أن نقيم مراكز لكي يستوطنوا ونبني قرى لكي يسكنوا، لديهم مشاكل المرعى، لديهم مشاكل الكسب، فيجب من الآن أن نقيم تفكيرنا لكي نحول معيشتهم الاقتصادية، وكيف نجعل من ذلك الكساب الذي لا يملك سوى بضعة جمال — ولكن من الممكن أن يفقدها كثمن للجفاف — رجلا يعمل، وكيف نهيء له معامل ومصانع، وكيف نجعل منه رجلا يملك رأسمال قارا مستقرا، لا رأسمال في يد المطر صب أم لم يصب، فهناك أناس يجب أن نعلمهم ونؤطرهم لكي يتعلموا كيف يفلحون ولكي يطمئنوا على مستقبلهم.

فبماذا سندرك هذا ؟

أولا سندركه بشيء أول : ماذا يميز الدولة المتقدمة على الدولة غير المتقدمة بالنسبة لوحدتها ؟ تميزها وحدة اللغة ووحدة الدين ووحدة التراب وحتى النظم فلا تظهر كمقياس لوحدة الأمة.

فإذن يلزمنا أن لا نقدم بمجرد دخولنا الصحراء على أن نطبق على أولئك الناس القوانين التي نطبقها في طنجة أو هنا في مراكش، لا.

أولا وقبل كل شيء يجب علينا أن نستوعب وضعهم وأن نعيش معهم، وان نفهمهم وأن نعرفهم ويعرفوننا، إذ ذاك سنقوم بمجهود كبير لننظر في القوانين التي يمكن أن تظهر لهم أنهم لم يخرجوا من حياة إلى حياة، بل خرجوا من استعباد إلى حرية.

ثانياً : يجب علينا أن نكون أكثر ما يمكن من أطر الصحراويين انفسهم لكي يسيروا هم شؤونهم بأنفسهم ولا يعتقدون — كما يقول لهم الأجنبي — ان المغرب يبحث عن الصحراء لخيراتها أو ليوظف فيها موظفين، ولا يمكن لأحد أن يسير مدينة العيون أو السمارة مثلا إلا سكانها، فهم أقرب إلى الواقع والحقائق منا.

ثالثا : يجب أن نضع في حسباننا، زيادة على ما سيعطي للصحراء من الميزانية العامة كإقليم خيراتها، حتى تشارك بحظ وافر حتى لا يظن الأقارب ولا الأباعد أننا نريد الصحراء لكي نأخذ خيراتها.

نريد الصحراء، لأنها أرضنا.

نريد الصحراء لأن الصحراويين هم نحن ونحن هم الصحراويون.

نريد الصحراء لأن مصيرنا مع إفريقيا وعروقنا مثل عروق الشجرة تسير نحو الجنوب في إفريقيا، ومستقبلنا في افريقيا، ولا يمكن أن نبقى أسارى بين بحرين ودولة ملفقة، إذ يصبح ذلك كارثة على المغرب كما قلت لك، وهذا ما لا يمكن للمغرب أن يتحمله أبداً، بحيث — شعبي العزيز — الشوط الأول ربحناه، والشوط الثاني نحن ولله الحمد — في طريق أن نربحه، ويبقى الشوط الثالث، يجب علينا بعد هذا الصخب وهذه الضوضاء حول الصحراء أن نظهر أن المغرب هو مغرب آبائنا وأجدادنا الذي فتح الأقطار ومصر الأمصار، وخلق حضارات وخلق مدنية، فيجب إذن أن نظهر قدرتنا في البناء هناك، ونظهر للمجموعة البشرية أن تلك الأمانة التي ردتها لنا العدالة الدولية وانصاف بعض الأخوة والأشقاء كلهم، سنرعاها أحسن رعاية وسنجعل منها كما فعل آباؤنا وأجدادنا، جعلوها مشاركة فعالة يومية في بناء صرح المغرب، وكل واحد قرأ تاريخ الصحراء يجد أنه لم تكن هناك عصور لم يكن الصحراويون فيها مهمين يشغلون مناصب مهمة أو يشاركون مشاركة كبيرة في بناء الحضارة المغربية وصرح المدنية المغربية.

لهذا — شعبي العزيز — فان ما وصلنا إليه من نتائج من شأنه، بل يوجب علينا أولا أن نحمد الله سبحانه وتعالى على كونه هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ثانيا — جل ما وصلنا إليه كوننا نواصل مسيرتنا فهي مسيرة — ولله الحمد — تظهر كل يوم الحق، والخصم ينفرد كل يوم وينعزل كل يوم، ولكن ذلك يحدونا إلى البقاء في مستوى ماضينا وفي مستوى ما نطمح إليه.

شعبي العزيز

أرادت محبة والدي فيّ — طيب الله ثراه — وتقديره لابنه وخديمه الضعيف، خادمكم هذا أن يطلق على عيد ميلادي عيد الشباب، ومع مرور الأيام والسنين نرى أننا لسنا شباباً ولكن صرنا كهولا.

ولكن أبيت إلا أن يبقى هذا العيد، عيد تاسع يوليوز يسمى بعيد الشباب حتى يمكننا كل سنة كيفما كان سننا أن نشرب من كوثر الشباب إرادة وعزماً وحماساً وايماناً، علماً منا أن الأمة وأجيالها مثل السلسلة المرتبط أولها بآخرها.

علينا إذن أن نبقي تلك الحلقات مقدسة، أن نبقي بين تلك الحلقات التي تربط بين طرف السلسلة بالطرف الآخر مقدسة يانعة صالحة للبناء، صالحة للجهاد، صالحة للحوار، صالحة لحسن الجوار، صالحة لتخويف الأعداء وارهابهم، صالحة لجلب الأصدقاء وايوائهم، وما ذلك على همتنا بعزيز والله سبحانه عودنا الخير، ولن نرى منه إلا الخير، إنه مجيب الدعاء.

ونتجه جميعاً — شعبي العزيز — إلى الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء الذي جاء في كتابه الحكيم :

«ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً».

صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بمراكش

الثلاثاء 27 جمادى الثانية 1395 — 8 يوليوز 1975